

موت الياسمين

زكريا تامر

استطاعت سلمى التوظف كمعلمة في احدى المدارس اثر نوالها شهادة تثبت انها نامت مع ٩٢٧ رجلا في سنة واحدة . وقد عهد اليها بالتدريس في الصف الاول ، وكان عدد تلاميذه ثلاثين طفلا ، لا يتجاوز عمر كل منهم سبع سنوات .

وحين فتحت سلمى الباب بحذر وغبطة ، ودلفت الى داخل قاعة الدرس دون ضجة ، كان التلاميذ يصخبون ويتصايحون ، وكان بعضهم يضرب خشب المناضد بقبضاته ، ولكنهم كفوا عن الضجيج جميعاً اذ تنبهوا لوجودها ، وبدأوا بالتطلع اليها متفحصين ، وكانت سلمى فتاة جميلة ، لها نهذان ناضجان ، وشفتان مكتنزتان ، ومنفرجتان باستمرار كأنهما موشكتان على الهمس في اية لحظة بسر مذهل .

وساد الصمت في قاعة الدرس الطويلة ، ووقفت سلمى امام اللوح الخشبي الاسود ، واخذت تراقب وجوه الاطفال الذين صاروا منذ تلك اللحظة تلاميذها . وغمرها فرح طاع ، فقد تحقق حلمها بان تحيا مع اطفال لم يعرفوا بعد الماراة والهزيمة . وهمس تلميذ لزميله الجالس بجواره :

— انظر الى حضنها .

— انا انظر فقط الى نهديها .

— لماذا ؟

- انا روحاني .
- وفي آخر قاعة الدرس ، كان ثمة اثنان يتحدثان بصوت خافت :
- اين سهرت البارحة ؟
- في الملهى ، وكان الويسكي رديئاً .
- وبصق باشمئزاز على الارض ، ثم قال :
- كل شيء اصبح رديئاً في هذه الايام .
- وقالت سلمى بصوت عذب :
- هذا هو الدرس الاول ، وسأعلمكم ...
- وهتف احد الاطفال مقاطعاً :
- ماذا ستعلمينا ؟
- اللغة .
- فنهض طفل له عينان سوداوان ، وقال متسائلاً بلهجة متحدية :
- ما الفائدة ؟
- ستقرأون الكتب .
- ماذا يوجد في الكتب ؟
- تجارب الحياة كلها .
- لا نريد .
- وارتفعت صيحات الصغار : لا نريد .
- فصرخت سلمى بصرامة : اسكتوا .
- وتساءلت عندما خفتت اصواتهم :
- ماذا تريدون اذا ؟
- غني لنا .
- ارقصي .
- حدثينا عن الحب .

واشعل احدهم سيكارة ، وراح ينفث دخانها بضجر وعصبية ، بينما اخرج اخر مجلة من درج منصدته ، وانهمك في تقليب صفحاتها متأملاً صور نساء عاريات .
وقال طفل ذو شعر اشقر ، تنحدر خصلة منه على جبهته :

- انا اخاف من النوم وحدي .

فابتسمت سلمى ، وسألت بخنو :

- ماذا تريد مني ؟

- نامي معي .

- ان يعترض والدك ؟

- سينام معنا .

وقال تلميذ آخر ذو ثياب انيقة :

- هل تتعشين معي الليلة ؟

فتأملت سلمى ملياً ثم قالت : انا موافقة .

ولوح احد التلاميذ بمذبة متألفة النصل ، وقال لزملائه :

- سأذبح دجاجات الجيران ثم سأذبح بنات الجيران ثم سأذبحكم .

وبغته وقف تلميذان ، وطفقا يتبادلان الكلمات والصفعات ، فغادر التلاميذ مقاعدهم ،

والتفوا حولهما متصايحين بحماس ، فأسرت سلمى نحو الطفلين المتشاجرين ، وابتعدت

واحدة عن الآخر ، فانتهاز التلميذ الفرصة ، واخذوا يلتصقون بسلمى ، ويلمسون

جسدها بأيديهم ، ويقرصون لحمها الطري باصابع نهمة ، فلم تغضب سلمى انما ضحكت

مبهتجة . وسألت التلميذين :

- لماذا تشاجرتما ؟

- طلب مني ان اخبره عما يفعل ابي مع امي .

فقالت سلمى بأسف :

- لماذا لم تجربه ؟ الا تحب فعل الخير ؟

وتسللت نبرة غاضبة الى صوتها ، بينما كانت تستأنف كلامها قائلة :

- يجب ان تحب الاخرين لكي تكون انساناً طيباً كاملاً . انت اناني . هل تحب احداً ؟

- انا احب زوجة جارنا .

— لماذا ؟

— جسدها ضخم وجميل .

— هل ستحبها لو كانت قبيحة ؟

— لا . سأحب ابنتها .

وفي تلك اللحظة كان الصغار قد تجمعوا كلهم حول سلمى متزاحين وتواقين الى الالتصاق بجسدها . وازداد عدد الايدي الصغيرة التي تلمس لحمها . وبعثت طراوة اللحم في الاصابع روحاً شريرة ، حولت الاصابع الى حيوانات صغيرة متوحشة . وضحكت سلمى بمرح ، وكانت ضحكتها كغيمة بيضاء تعبر سماء صيف ازرق . وتدافع الاطفال فيما حولها وكأنهم نحل يبغي امتصاص رحيق زهرة واحدة . واشتدت ضراوة اصابعهم بينما هي تلمس اللحم الطري ، وتفاقم توفها لاقتحام سهول بيضاءناعمة ، شمسها حارة . وحاولت الاصابع تمزيق الثوب ، فقاومت سلمى ضاحكة ، غير ان مقاومتها الضئيلة قوبلت بعنف محوم ، اضعفها وبدد قواها واجبرها على الاستسلام والسقوط باعياء على الارض .

وغرقت سلمى في طوفان الاصابع الصغيرة التي مزقت ثيابها كلها . واحست سلمى بالبلابل باردأ تحت ظهرها العاري ، بينما كان الاطفال كحيوانات غامضة لا عدد لها تلهث وتذب فوق لحمها وتعصره بشراسة . وضحكت سلمى وهي توشك على بلوغ ذروة الفرح ، فقد كانت تتبنى فيما مضى بان تعيش مع اطفال لم يعرفوا بعد اقنعة الارض السوداء . غير ان هلعاً جنونياً امتلكها فجأة حينما بدأت الاسنان الصغيرة تقرض لحمها وتضطدم بالعظم الصلب .